قبرص بين السيادة المصرية والأشورية القديمة

د. محمد على سعد الله(*)

تقع جزيرة قبرص فى شرق حوض البحر المتوسط ، حوالى ٤٠ ميل (٦٤ كيلو مترًا) جنوبى تركيا ، ٦٠ ميل غرب الساحل السورى (حوالى ١٠٠ كم من أقرب نقطة عند رأس الشمرة) ، ٢٥٠ ميل (٤٠٠كم) شمالى نيل الدلتا ، وتمتد الجزيرة من رأس (Arnauti) فى الغرب إلى رأس اندرياس فى الشرق (Andreas) ، والجزيرة فريدة من ناحية الشكل بسبب وجود سلسلة من الجبال ، جزؤ منها يعد من أعظم المنحنيات المتجهة من آسيا نحو جزيرة كريت ، بقاياه جبال كيرنيا Kyrenia الموجودة فى شمال قبرص ، وفى الجنوب سلسلة جبال طرودس (Troodos) ، والأرض السهلية مفتوحة على البحر من الشرق والغرب فيما يعرف بسهل مزوريًا (Mesaoria)[١] ، وتمتاز الجزيرة بوفرة ما فيها من الأحجار الثمينة والمعادن وخاصة النحاس ، كما اشتهرت بثروتها الزراعية من الحبوب والكروم وشجر الزيتون ، وكذلك تنتشر بها الغابات التى جعلت بعض السكان يتجهون نحو تصنيع السفن .

وقد اتجه بعض سكان قبرص إلى صناعة الخزف والأوانى الفخارية[٢] ، وكان لموقعها المتميز فى شرق البحر المتوسط ، بجانب ثرواتها المعدنية والزراعية ، أثر فى اهتمام الدول القديمة وبخاصة الدول القوية المطلة على البحر المتوسط ببسط سيادتها على هذا الجزء من العالم القديم ومن هذه الدول مصر وخاتى وآشور والمدن الفينيقية ، وهو ما تؤكده النصوص والأدلة الأثرية القديمة .

(*) أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم المساعد – كلية الآداب بنها – جامعة الزقازيق .

والواقع أنه كانت لمصر علاقات قديمة بسكان جزر البحر المتوسط بمعنى أن هذا البحر لم يكن يمثل عائقًا يفصل بين المصريين وسكان هذه الجزر منـــذ أقـدم الأزمنة وخاصة منذ عصر الدولة القديمة وهو ما تدعمه الأدلة الأثريـــة[٣] ، وبعـد محنة الهكسوس ، عاد الاهتمام بالجانب الشرقى من البحـــر المتوســط وضـــرورة السيطرة على مداخل التجارة ، ومداخل الهجرات التـــى يمكـن أن تـــهدد الأمـــن المصرى ، وهذا ما تؤكده النصوص المصريـــة بالنســبة لقـبرص علـــى وجـه الخصوص خلال هذه الفترة التى اصطلح على تسميتها بعصر البرونز الأخير فـــى قبرص (١٥٥٠ – ١٠٥٠ ق.م)(٤) ، من ذلك أن « تحوتمس الثـالث » (١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق. م) قاد على الأقل ست عشرة حملة عسكرية إلى آســيا فـــى خـــلال عشرين عامًا تقريبًا ، وكانت بعض هذه الحملات للقضـــاء علـــى مشـــاكل تـــهدد الأمبراطورية المصرية التى جعل حدودها من (أقاصى النوبة جنوبًا) إلى أقـاصى آسيا شمالاً ، كما كانت بعض تلك الحملات لإظهار قوة مصـــر وســـيطرتها علـــى أنحاء إمبراطوريتها ، وسجلت هذه الحملات الجزية الواردة إلى مصر مـــن بـــلاد عديدة منها قبرص[٥] ، حيث جاء فى نص الفرعون « تحوتمس الثالث » عن حملته التاسعة التى تمت فى العام الرابع والثلاثين من حكمه ما يلى :

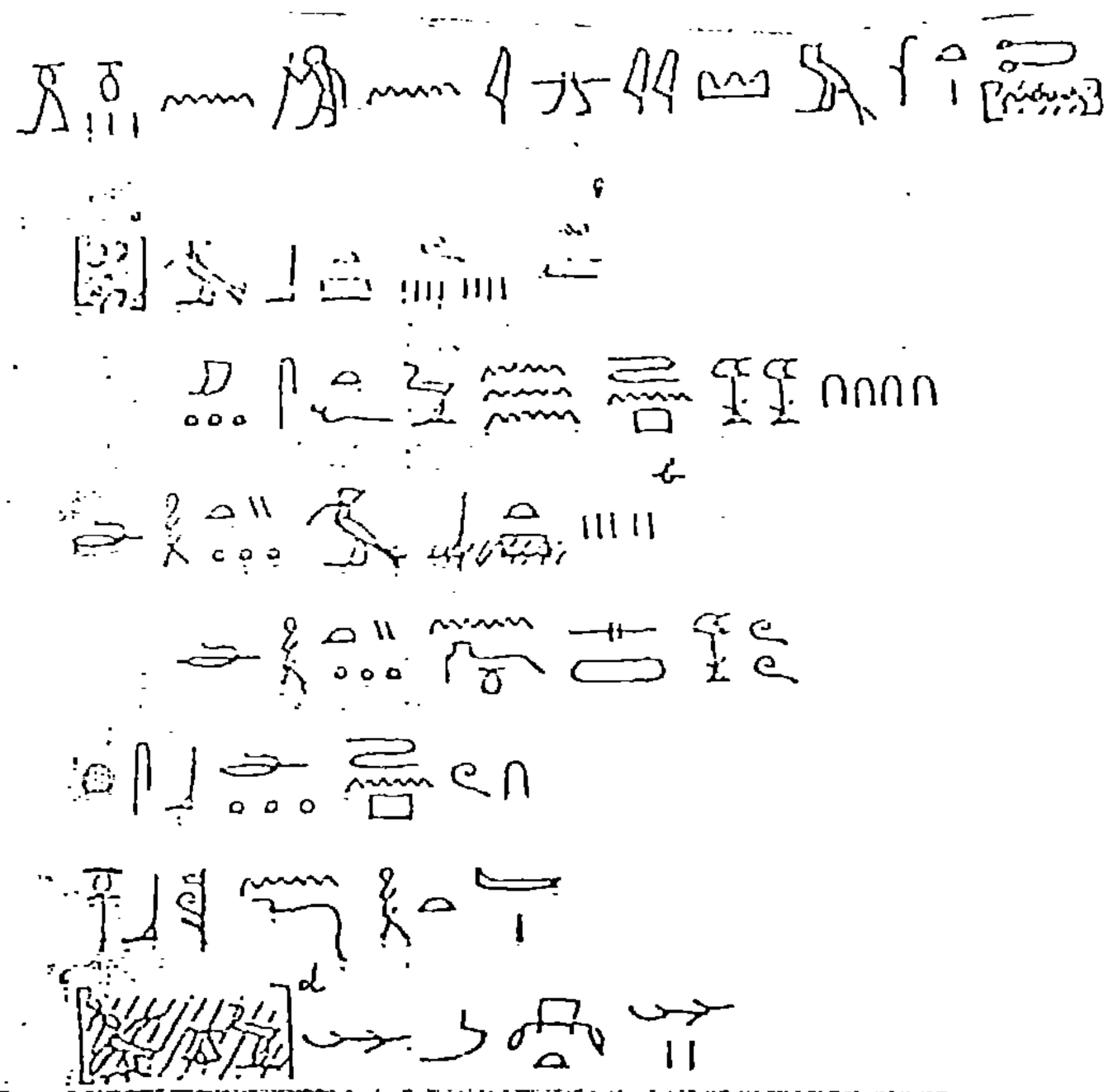

Ī nw n (w) wr (w) Isy n rnpt t_n

bī 3 ḏbt 108 $\frac{1}{2}$

b ī 3 stfw dbn 2040

dḥty ḏbt 5

dḥty nws 1200

ḥ s b d dbn 110

3 b ndht 1

t 3 gw m 3 wt 2

الترجمة العربية للنص :

هدايا حاكم قبرص فى هذا العام (العام الرابع والثلاثين) :

مائة وثمانية ونصف قالب من النحاس .

نحاس خام : ٢٠٤٠ دبنًا (الدبن = ٩١ جرام) .

(وحمولة) خمس قوارب قصدير ، وألف ومائتا قطعة من القصدير ومائة وعشرة دبن من الفيروز (اللازورد) وناب (سن فيل) واحد ، وقطعتان من خشب ثاجو .

كذلك تضمنت حوليات «تحوتمس الثالث » فى العام الثامن والثلاثين (الحملة الثالثة عشرة) ما يفيد قيام قبرص بإرسال جزيتها باعتبارها ضمن البلاد الخاضعة لمصر التى كان اسطولها يسيطر على شرق البحر المتوسط فى المنطقة الممتدة حتى بحر ايجة .

وتكرر نفس الأمر فى الحملة الرابعة عشرة فى السنة التاسعة والثلاثين من حكم تحوتمس الثالث، وكذلك فى الحملة الخامسة عشرة فى العام الأربعين من حكمه حيث سجلت جزية قبرص (أسى Isy) التى تضمنت النحاس وعدداً من الخيول (فرسين)[٧] .

وقد حوت لوحة أنشودة النصر للملك « تحوتمس الثالث » التى عثر عليها فى معبد الكرنك وهى حاليًا موجودة فى المتحف المصرى بالقاهرة رقم (34010):

« ..... لا يوجد متمردون إنهم يأتون حاملين الجزية فوق ظهورهم ، ينحنون لجلالتك ، إنى جعلت الطغاة المعتدين الذين يقتربون منك ضعفاء وقلوبهم تحترق وأجسامهم ترتعش ، جعلتهم تحت قدميك ..... » .

لقد سحقت تحت سيطرتك الأراضى الغربية والشرقية كفيتو (كريت) ، « اسى Isy (قبرص) ..... »[٨] .

كذلك يبدو من المؤكد استمرار خضوع « اسى » (قبرص) للنفوذ المصرى فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، حيث استمر ورود الاسم فى القوائم الجغرافية مع ملوك مصر : الفرعون سيتى الأول (١٣٠٦ - ١٢٩٠ ق. م) ، والفرعون

رمسيس الثانى (١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق. م)[٩] ، ومع بداية القرن الثانى عشـــر ق. م اجتاحتها شعوب البحر[١٠] ، وهو ما عبرت عنه نصـــوص الفرعـــون « رمســـيس الثالث » فى العام الثامن من حكمه حوالى عام ١١١٨ ق. م ، حيث تصدى لخطـــر هذه العناصر التى جاءت من البحر ومن الأراضى الساحلية وقضت علـــى الدولـــة المينوية (Minoen) فى كريت ، كما قضت على الامبراطورية الحيثية .

« ..... فى العام الثامن من حكم جلالة (رمسيس الثالث) تآمرت الشـــعوب الأجنبية فى جزرها وأزالت بلادا وشردت الحرب (أهلها) ، ولم تستطع دولـــة أن تقف أمامهم ابتداء من خاتى (الامبراطورية الحيثية) وقدى (شاطئ قيليقية وشمال سوريا) وقرقميش ، وأرزاوا (بالقرب من قيليقية) وإسى (قبرص) .....»[١١].

وتشير الأدلة الأثرية إلى ازدياد النفوذ الحضـــارى الفينيقـــى وخاصـــة فـــى الجوانب الاقتصادية خلال القرنين التاسع والثـــامن ق. م (٨٥٠ – ٧٥٠ ق. م) ، وعندئذ نمت العلاقات التجارية بين مدن صور وصيدا وغيرهما فى فينيقية وعلـــى الجانب القبرصى مدن « كيتون » ، وأيداليون ، وانكومى ، وتماسوس ، ولايبثـــوس ، ولارناكا وغيرها ، (خريطة رقم ١) ولا بد من القول أن العناصر الفينيقية لـــم تنفرد وحدها بالجزيرة ، وإنما شاركتها عناصر اليونان التى انتشرت على ســـواحل آسيا الصغرى واستقرت أيضا فى الجزيرة . فى حيـــن قـــامت جزيـــرة «رودس » بدور الوسيط الأساسى بين قبرص واليونان[١٣] (خريطة رقم ٢) .

ثم كان أن انتقلت السيادة على قبرص إلى دولة آشور ، وذلك فى الفترة التـــى عرفت اصطلاحا باسم العصر الأشورى الحديث ، وخاصـــة بيـــن ســـنتى ٧٥٠ – ٦١٢ ق. م[١٤] ، وفى تلك الفترة اتجهت سياســـة الامبراطوريـــة الأشـــورية إلـــى السيطرة على الطرق التجارية والحربية والوصول غربا إلـــى شـــاطئ المتوســـط ومحاولة الحلول محل الامبراطورية المصرية القديمة التى بلغت دور الشـــيخوخة ، ويمكن تتبع ذلك من خلال نصوص الملك الأشورى « سرجون الثـــانى » (٧٢١ –

٧٠٥ ق. م) الذى تحدث فيها بفخر عن انتصاراته واستيلائه على السامرة عاصمة العبرانيين الشمالية التى صمدت أمام حصار الأشوريين خلال عهد سلفه « شلما نصر الخامس » ، ولكنها انهارت أمام سرجون فى العام الأول من حكمه عام ٧٢١ ق. م ، وبذلك قضى على (مملكة) إسرائيل ونهب أشدود ، وذكر بفخر تبعية حكام جزيرة قبرص له :

« ... أخضع (سرجون الثانى) الملوك السبعة لبلاد أسى « قبرص » (إيادنانا) الذى يسكن فى جزيرة فى البحر (على مسافة) سبعة أيام إن مكانها بعيد جدًا ، لم يذكرها أحد من أسلافه الملكيين منذ الأيام البعيدة جدًا ..... »[١٥] .

ويتضح من النص السابق أن الجزيرة كان يسودها نظام أقرب إلى دويلات المدن بسبب وجود عدد من الحكام للجزيرة بلغ عددهم سبعة كما أشار النص ، ويبدو أن الجزيرة اضطرت للخضوع إلى الأشوريين بعد أن نجحوا فى اخضاع المدن الفينيقية ومنها مدينة صور التى أشارت النقوش التى عثر عليها فى الجزيرة على ما يدل على أن صور كانت لها مستعمرة فى قبرص أو أن دويلة قبرصية كانت خاضعة لصور ويحتمل أن هذه الدويلة كانت كيتيون[١٦].

كذلك ذكرت نصوص سينا خريب (سنحريب) . (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) التعاطف الذى كان موجودًا بين قبرص وبعض المدن الفينيقية ، حيث يشير النص :

« ..... لولى Luli ملك صيدا كان خائفًا من محاربتى ، وفر إلى مدينة قبرص (إيادنانا) وهى جزيرة فى وسط البحر واتخذها ملجأ ، ولكن حتى فى هذه الأرض قابل الموت بسبب تأثير الرعب من أسلحة سيدى (الإله) آشور أنا عينت أيثت بعل (على صيدا) على العرش الملكى وفرضت عليه الجزية .....[١٧] » .

والنص إشارة واضحة لاستمرار سيادة آشـــور علـــى قـــبرص ومحـــاولات الخروج عن سيطرة آشور من جانب صيدًا وأيضًا جزيـــرة قـــبرص التـــى ســـبق وأعلنت الولاء لحكام آشور حتى لا تتصدى للنشاط التجارى القبرصى بينهم وبيـــن سوريا ومصر وبلاد الأناضول[١٨] .

وقد ترك الملـــك الأشـــورى « أســـرحدون » (٦٨٠ – ٦٦٩ ق. م) فـــى نصوصه قائمة بأسماء الحكام التابعين له ومن بينهم حكام قبرص :

« ..... كل ملوك الجزر التى تتوسط البحر ، من مدينة إيادنانا (قـــبرص)، حتى أيضا تارسيسى Tarsisi (كونسوس حسب رأى Luckenbill) انحنوا تحـــت قدمى وأخذت منهم جزية كبيرة » .

والنص يشير إلى خضوع جزيرة قبرص للسيطرة الأشورية فى عهد الملك « أسرحدون » كما تتحدث نصوص أخرى عن استدعاء ملوك (حكام) بلاد عديـــدة ، وعشرة ملوك من قبرص (إيادنانا) التى تتوسط البحر ، للذهاب إلى عاصمتـــــه « نينوى » للمشاركة فى بناء قصره[١٩] ، وقد يعنى هذا أيضـــا مـــن جـــانب الملـــك الأشورى «أسرحدون » من دعوته لهذا العدد الكبير من الملـــوك والحكـــام البـــالغ عددهم اثنين وعشرين ملكا بما فيهم حكام قبرص ، الشروع فى تأسيس حصن جديد للملك الأشورى فى العاصمة « نينوى » ما يؤكد إحكـــام قبضتـــه علـــى الطـــرق التجارية الممتدة من الساحل الفينيقى حتى جزيرة قبرص صاحبة الموقـــع البحـــرى الهام . ذلك أن سيطرة آشور على تلك الطرق يعنى فقدان مصر شريانا هامـــا فـــى طرق التجارة العالمية فى تلك الفترة[٢٠] .

وقد استمرت السيادة الأشورية على قبرص فى عـــهد الملـــك الأشـــورى « أشوربانيبال » (٦٦٨ – ٦٣٣ ق. م) الذى أشار فى نصوصه إلى حكامها التابعين لأشور فى عهده ، وعندما إنهارت بعد ذلـــك الإمبراطوريـــة الأشـــورية ودمـــرت عاصمتها حوالى ٦١٢ ق. م نعمت قبرص بالاستقلال .

على أن هذه الفترة كانت محدودة ، إذ عادت قبرص من جديد تحت السيادة المصرية فى نهاية الأسرة السادسة والعشرين حينما استطاع الفرعون « أحمس الثانى » حوالى عام ٥٦٨ق. م السيطرة على الجزيرة ذات الموقع الاستيراتيجى بالإضافة للأهمية الاقتصادية (٢١) .

وحوالى عام ٥٢٥ق. م وقعت مصر فريسة فى أيدى الفرس ، فانتقلت سيادة الجزيرة إلى الفرس الاخمينيين حتى عام ٣٣٣ق. م ، ثم تعاقب السيادة عليها الإسكندر الأكبر وخلفائه من الملوك البطالمة حتى عام ٥٨ق. م .

خاتمة البحث

يتضح من هذه الدراسة أن للموقع الجغرافى المتميز لجزيرة قبرص فى شرق حوض البحر المتوسط بجانب ثرواتها المعدنية والزراعية أثر فـــى اهتمـــام الـــدول القديمة وبخاصة الدول القوية المطلة على البحر المتوسط ومنـــها مصـــر وخـــاتى وآشور بالسيطرة عليها لما فى ذلك من فوائد اقتصادية وعسكرية .

تركز الاهتمام المصرى بجزر بحر ايجه وشرق البحر المتوسط فـــى بدايـــة الأسرات الفرعونية وحتى نهاية عصر الدولة الوسطى على تغليب علاقات الود مـــع تلك الجزر واتخاذ الصلات التجارية معها سبيلاً إلى التأثير الحضارى فيها ، وبعـــد انتهاء الاحتلال الهكسوسى وبدء عصر الدولة الحديثة ، عادت مصر إلى الاهتمـــام بالجزء الشرقى من البحر المتوسط ، وضرورة السيطرة على مداخل الهجرات التـــى يمكن أن تهدد الأمن المصرى . كذلك الحرص والسيطرة على المواقع الاستراتيجية الهامة التى تتحكم فى التاريخ السياسى والتجارى لدول البحر المتوسط .

وقد سجلت النصوص الأثرية لملوك عصر الدولة الحديثة سيادة مصر علـــى جزيرة قبرص ، وحرص حكامها على التودد وضمان رضاء ملوك مصـــر عليـــهم وذلك باستمرار تقديم الجزية ، وهو ما عبرت عنه نصوص تلك الفترة .

كذلك مثلت قبرص مركزًا تجاريًا أو سوقًا للشرق الأدنى القديم استفادت منـــه المدن الفينيقية وشاركتها العناصر اليونانية التى كانت قد استقرت فـــى الجزيـــرة ، وقامت جزيرة رودس بدور الوسيط الأساسى بينها وبين اليونان .

وحينما دخلت مصر مرحلة من مراحل الضعف بعد انتهاء عصـــر الدولـــة الحديثة ، انتقلت السيادة على قبرص إلى دولة آشور التى عبرت نصوصها عن هذه السيطرة ، والتى يفهم منها أن الجزيرة كانت مقسمة إلى دويلات لكل منها حاكمـــها الذى حرص على تقديم فروض الولاء للدولة الأشورية .

كذلك دلت النصوص الأشورية على ما يؤكد إحكام أشور سيطرتها على الطرق التجارية الممتدة من الساحل الفينيقى وحتى جزيرة قبرص ، وحرمان مصر من موقع استراتيجى واقتصادى هام فى الفترة من ٧٥٠ – ٦١٢ق. م .

ونظرًا لأهمية قبرص السياسية والاقتصادية والعسكرية قام الفرعون المصرى « أحمس الثانى » (الأسرة السادسة والعشرين) بإعادة السيطرة عليها من جديد . وعندما فقدت مصر استقلالها على أيدى الفرس ، انتقلت سيادة الجزيرة إلى الفرس ، ثم تناوبت السيادة عليها القوى الجديدة التى ظهرت على مسرح التاريخ .

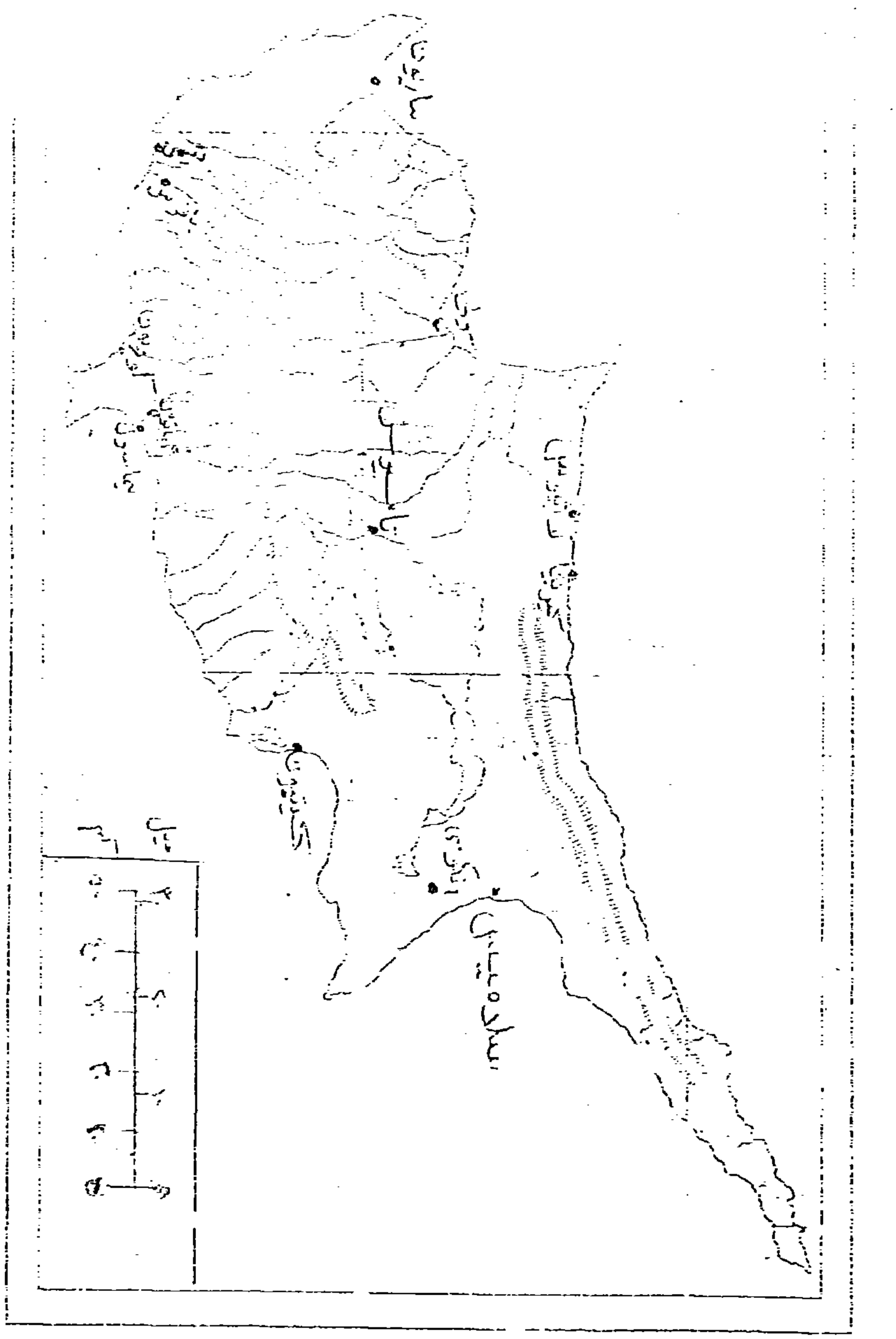

(خريطة رقم ١) أهم المدن القديمة فى قبرص

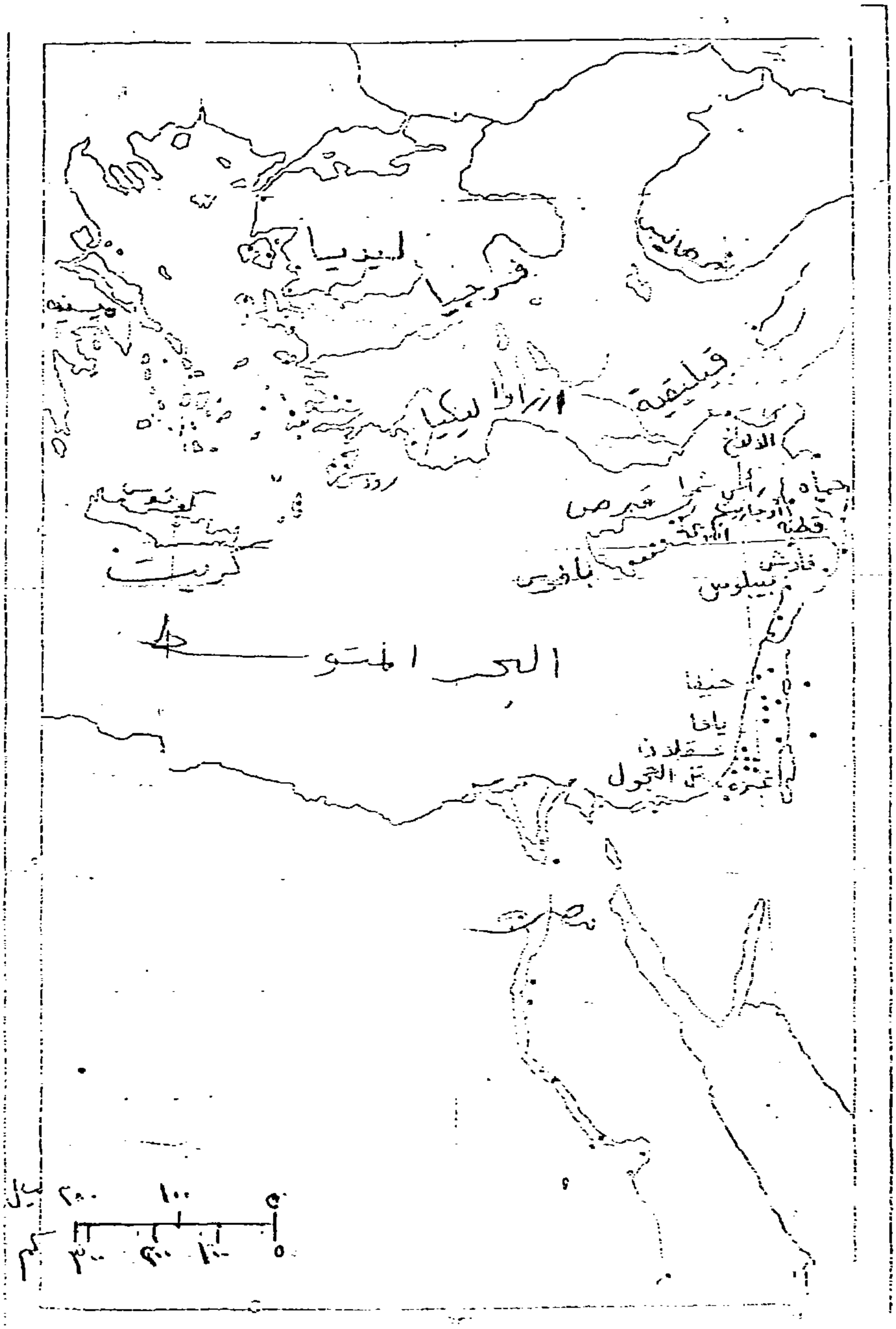

(خريطة رقم ٢) قبرص وشرق البحر المتوسط

نقلاً عن : Blegen, C.W. CAH, Vol. II, P.2, P.183

حواشى البحث

(1) Goult, Herman, The New Encyclopaedia Britannica Vol. 5, P. 402.

(٢) جـ . كونتنو : الحضارة الفينقية ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، مراجعـــة طـــه حسين ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٥ .

(٣) راجع للباحث الأقواس التسعة من خلال مقابر الأسرة الثامنـــة عشـــرة فـــى مصـــر القديمة، مجلة كلية الآداب بالإسكندرية المجلد ٣٨ ، ١٩٩٠ .

عن العلاقات بين مصر وسكان جزر بحر ايجه والكلمة المصرية « حـــاونبوت » ، ووجود الأوانى الحجرية وغيرها من الأدلة الأثرية فى كريت ، والطـــرق التجاريـــة من مصر إلى سوريا ومنها إلى قبرص وكريت وغيرها من جزر البحر المتوســـط ، راجع .

Vercoutter, T, The Near East, London, 1967, P. 367.

(٤) عصر البرونز الأخير فى قبرص ينقسم إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى مـــن ١٥٥٠ – ١٤٠٠ق. م ، والثانيـــة مـــن ١٤٠٠ – ١٢٠٠ق.م، والثالثة من ١٢٠٠ – ١٠٥٠ق. م انظر :

Catling, H. W., Cyprus in the late Bronze Age, CAH, Vol. II, P. 2, P. 188.

(٥) بعض هذه الجزى كانت جزى حقيقية من بلاد مهزومة ، وبعضها هدايا مـــن حكـــام بلاد بعيدة تطلب ود الفرعون تحوتمس الثالث الذى يسيطر بأســـطوله القـــوى علـــى موانى فينيقية وفلسطين وجزر البحر المتوسط ، انظر :

Wilson, J., The Asiatic Campaigns of Thut – mose III, ANET, P. 238.

(6) Urk, IV, PP. 707-708.

(7) Urk, IV, P. 719, ARE, II, PP. 210-212.

(8) Wilson, J., The Hymn of Victory of Thut – mose III, ANET, PP. 373-374.

(9) Wilson, J., Lists of Asiatic Campaigns under the Egyptian Empire, ANET, 242;

Catling, H. W, Op. Cit, P. 203 – 242, Ibid, P. 204. وكذا

(10) The Hittite Archives, JEA, Vol. 25, 1939, PP. 148-150.

Redford, D., Egypt, Canaan, and Isreal, in Ancient Timęs, Cairo, 1995, P. 253.

Wainwright, G. A, Some Sea – Peoples and Others in Hill, G. F., A History of Cyprus, 1., CAH, 1940, P. 44.

Roberts, J. M, History of the World, New York, 1993, P. 86.

(11) Wilson, J., The War Against the Peoples of the Sea, ANET, P. 262.

كما ورد اسم « الأشيا Alashiya » فى رحلة ون آمون ، راجع :

Wilson, J., The Journey of Wen – Amon to Phoenicia, ANET, PP. 25-29;

تم قبول أن «اسى » هى قبرص ، وفى عام ١٨٩٥ «ماكس مولر Max Müller » حاول توضيح أن أليسا (الأشيا) كانت شكلا آخر لنفس الكلمة ، وآلاشيا هى أيضـــا قبرص ، راجع :

Wainwright, G. A., Alashia = Alasa, and Asy, Klio, Leipzig, 1915, P. 2.

(١٢) خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق. م الايجيون وصلوا إلى الجزيـــرة فـــى البداية كتجار ، ولكن فى نهاية هذه الفترة كمستوطنين .

كما يوجد اتصال بين فينيقيا وقبرص من القرن الثالث عشـــر ومـــا بعـــده ، وهنـــاك اسطورة الأميرة «اليسا » التى فرت من صور إلى قبرص فى طريقها إلى قرطاجـــة فى القرن التاسع ق. م ، انظر .

Harden, D, The Phoenicians, New York, 1971, PP. 52-60.

Baramki, D., The Phoenicians, P. 59.

جـ . كونتنو :المرجع السابق ، ص١٠٤ .

(13) Bickham Sweet – Escott, The New Encyclopaedia Britannica Vol. 5, P. 406.

(14) Ibid, 406.

(15) Oppenheim, L., Babylonian and Assyrian Historical Texts, ANET, 284.

(١٦) محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٥٩ .

Baramki, D., Op. Cit, P. 32. وكذا :

خضوع حكام قبرص للملك الأشورى « سرجون الثانى » جعله يقيم لوحة لتسجيل الحدث فى عاصمته «دار شاروكين » (خورسباد) وكذلك فى كيتيون واللوحة موجودة حاليا فى متحف برلين ، وفيها تتم الإشارة إلى قبرص باسم « يا أتانانا Yatnana وقد سمح حكام الجزيرة بحفر صورة سرجون الثانى ورموز آشور على اللوحة ، راجع :

The New Encyclopaedia Britannica, P. 406.

(17) Oppenheim, L., Op. Cit., P. 288; Smith, S., Sennacherib and Esarhaddon, CAH, Vol. III, P. 72.

(١٨) « لولى » وصف كحاكم لمدينتى صيدا وصور ، وصف بالنشاط والتصدى للحكم الأشورى ، تحالف مع مصر ويهوذا ، فى عام ٧٠١ ق. م اجبره «سنحريب » على الفرار إلى قبرص ، انظر :

Harden, D., Op. Cit., P. 49.

(19) Oppenheim, L., Op. Cit., pp. 290-291.

(20) Smith, S., Op. Cit., p. 84.

(21) Gardiner, A., Egypt of the Pharohs, London, 1974, p. 362.